دراسة تاريخية للمجتمع الإسلامي في كتاب البصائر والذخائر للتوحيدي

الأستاذ المساعد الدكتور عبد الكريم عز الدين صادق*

مقدمة البحث:

يعد التوحيدي من أبرز رجال الأدب والثقافة في العصور العباسية، وأضاف إلى المكتبة العربية الإسلامية نتاجاً أدبياً وفكرياً بكتبه المتعددة والثمينة، وهو أبو حيان علي بن محمد بن العباس الملقب بالتوحيدي، صوفي، متكلم ، حكيم ، أديب، لغوي، نحوي، شيرازي الأصل نيسابوري، قدم بغداد فأقام بها مدة واستفاد من علومها وثقافتها، ومضى إلى الري، جاور بيت الله الحرام ، ويعتقد أنه توفي في سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م)[١].

وللتوحيدي مؤلفات كثيرة من أبرزها : الأمتاع والمؤانسة ، الإشارات الإلهية، المقابسات، والبصائر والذخائر، والكتاب الأخير طبع في عام ١٩٥٣ وبجزء واحد فقط وبتحقيق أحمد أمين ، ثم طبع مرة أخرى بستة أجزاء وبتحقيق إبراهيم الكيلاني، وقد حقق مؤخراً من قبل د. وداد القاضي وبتسعة أجزاء ليكون هذا الكتاب سفراً كبيراً زاخراً بالمواضيع الأدبية والتاريخية والسياسية.

ويبين لنا التوحيدي في مقدمة هذا الكتاب، بأنه اعتمد على مصادر رئيسة للكتابة، قائلاً في ذلك : أولها وأجلها ما يتضمن كتاب الله تعالى الذي حارت العقول الناصعة في وصفه، والثاني سنة رسول الله (ص)، فإنها السبيل الواضح، والنجم اللائح، والقائد الناصح، والثالث: حجة العقل، فأن العقل هو الملك المفزوع إليه، والحكم المرجوع إلى ما لديه، في كل حالٍ عارضة، وأمر واقع، عند حيرة الطالب، والرابع: رأي العين، وهو يجمع لك بحكم الصورة، وأعتراف الجمهور ، وشهادة الدهور، نتيجة التجارب، وفائدة الأختيار(٢) .

ويظهر أن التوحيدي قد استغرق وقتاً طويلاً في تأليف هذا الكتاب، واستخدامه للعديد من أمهات الكتب والمصادر، مورداً لكتاباته ، مبيناً في ذلك بالقول : " جمعت ذلك كله في هذه المدة الطويلة، والحرص المتضاعف، والدأب الشديد، ولقاء الناس من كتب شتى، حكيت عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني، وكتبه هي الدر النثير والنور المطير، ثم كتاب النوادر لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، ثم كتاب الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد الثمالي، ثم كتاب العيون لابن قتيبة الكاتب الدنيوري، ثم مجالس ثعلب، ثم كتاب ابن أبي طاهر الذي رسمه بالمنظوم والمنثور، ثم كتاب الأوراق للصولي، ثم كتاب الوزراء لابن عبدوس، والحيوانات لقامة، هذا إلى غير ذلك من جوامع الناس مضافات إلى حفظ ما فاهوا به، وأحتجوا له، واعتمدوا عليه في محاضرهم ونواديهم مما يطول إحصاؤه"(٣) .

ويعد الكتاب أحد المصادر الأدبية الموسوعية، لما يتضمنه من الأشعار والحكم والأدب والنثر العربي، والخطابة، فضلاً عن الروايات التاريخية القصيرة التي أوردها لغرض الموعظة

---

* جامعة بغداد – كلية التربية للبنات- قسم التأريخ.

(١) ينظر : ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم الأدباء ، دار أحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة ، ج١٥، ص٥٠ ؛ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٥م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. أحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون سنة، ج٢، ص٧٩؛ كحالة ، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار أحياء التراث العربي، بيروت ، ج٧، ص٢٠٥.

(٢) التوحيدي، ابو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م) ، البصائر والذخائر، تحقيق د. وداد القاضي، ط٤، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩، ج١، ص٥-٦ .

(٣) م . ن ، ج١، ص٣-٥.

والاعتبار أو الخبر الطريف، وعليه قمنا في هذا البحث بجمع تلك الروايات ودراستها وفق المنظور التاريخي الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، وعلى الوجه الآتي :

الأخلاق :

تعد الأخلاق إحدى السمات الحضارية للمجتمعات الإنسانية عبر كل العصور التاريخية، وقد أهتم رجال الفكر والأدب على إبراز القيم الأخلاقية المحمودة وتدعيمها بين أبناء المجتمع، ومن أولى الاعتبارات الأخلاقية للأفراد هي حب الوطن والأرض، وهي علامة من علامات الرشد " أن تكون النفس إلى بلدها تواقة وإلى مسقط رأسها مشتاقه "(١) .

ويبين لنا التوحيدي بأن أشراف الناس في المجتمعات الإنسانية، تواقون للوصول إلى الأخلاق المحمودة ، مبيناً بأن " الخليفة عمر بن عبد العزيز سأل أحدهم، قائلاً: دلني على قوم من القراء أدلهم، فقال له : أن القراء ضربان : ضرب يعملون للآخرة، وأولئك لا يعملون ذلك، وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم إذا مكنتهم منها، فقال ما اصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأنسابهم، ويرجعون إلى أعراقهم فدلهم "(٢) .

ولذلك أعتبر الحياء راس الأخلاق ومفتاح بابها، وعنده أن الحياء من الله عز وجل ويتمثل بمراجعة النفس ومراقبة الله في السر والعلانية(٣) .

وعند التوحيدي أن بداية عملية الإصلاح الأخلاقي هي مراجعة حقيقية للذات وتصحيح مساراتها، وأن " لا يعيب الرجل أحداً بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه"(٤).

وأخلاق المجتمع تحث الناس على البر بالوالدين، ومن تلك الصور الاجتماعية هي قيادة صبية لوالدها الضرير(٥).

وهنالك إشارات لدى التوحيدي في كتابه على ضرورة الاهتمام بالوقار باعتباره من المقومات الأخلاقية للأفراد، قائلاً في ذلك : " رحم الله أبا عمر القاضي، فأنه عدَّل بعض البغداديين، فبلغه عنه في تلك الحال أنه رقص فرحاً، فأسقطه لفرحته وخفته، وقال : كان ينبغي أن يزداد وقاراً في الدين ورصانة فيما تحمل من المسلمين للمسلمين"(٦).

ويرى من مقومات الأخلاق الأخرى بأن لا يكون الإنسان غضوباً وجزوعاً في لحظة من التهور والاندفاع الذي يخل بشخصية الفرد مبيناً " بأن الغضبان خارج الصورة عن الاعتدال، أما تراه جاحظ العينين، بادي العروق، دار الأوداج، مضطرب الأوصال، مشوه البنية، مختلف الحركة، مكدود النفس، حار المزاج، مضطرم الحرارة، مدخول الروية، عارم الفكرة، ظاهر العجز، جاهلاً بقدر الحق "(٧).

ويبدو أن المجتمع العباسي قد ميز البغداديين تبعاً لأخلاقهم وسلوكهم، ولذلك سمع أحدهم شيخاً بباب الطاق من سفلة الناس يقول لآخر أسفل منه : ويحك(٨)، وينعتون الإنسان الحسن بالقول " : بلغ فلان عنان السماء، والعنان : الغيم الأبيض، وهو أشد الغيوم ارتفاعاً، فأما أعنان السماء فنواحيها "(٩).

وتتطلب الأخلاق الإنسانية أن يكون الإنسان سمحاً ليناً، وقال الناس من كان عكس ذلك بالثقيل، ويخبرنا صاحب البصائر والذخائر بإنسان ثقيل متشادق ما يدري ما يقول حيناً(١٠).

---

(١) م.ن، ج٨، ص١٧٧.
(٢) م . ن ، ج١، ص٦٩.
(٣) م . ن ، ج٢، ص١٥٧.
(٤) م . ن ، ج٣، ص٣٣.
(٥) م . ن ، ج٢، ص٣٢.
(٦) م.ن ، ج١، ص٨٩.
(٧) م . ن ، ج ٩، ص١٩٧.
(٨) م . ن ، ج٤، ص٤٣.
(٩) م . ن ، ج١، ص٤١.
(١٠) م . ن ، ج٢، ص١٨٣.

ومن الأمور المهمة في تهذيب الأخلاق للمجتمعات الإنسانية هو قول الصدق والابتعاد عن الكذب، وذلك قال أحدهم : " الكذب يخيف نفسه وهو آمن، معناه أنه قد عرض نفسه للمطالبة بحقيقة ما قاله، فهو خائف في الفضيحة، وملاحظ لعار التكذيب، ومستوحش لما فيه أنس الصادقين "(١).

وفي جانب آخر فأن المجتمع الإسلامي قد نبذ البخل ومدح الكرم والجود والسخاء، وأننا لم نر الأمة أبغضت جواداً قط ولا حقرته، بل أحبته وأعظمته ، بل أحبت عقبه، وأعظمت من أجله، ثم وجدنا هؤلاء بأعيانهم، للبخيل على ضد هذه الصفة، وعلى خلاف هذا المذهب، وجدناهم يبغضونه مرة، ويحقرونه مرة(٢) .

وبين لنا التوحيدي بعض الأسباب التي يتبعها البخلاء في بخلهم، قائلاً : " وقيل لرجل مستهتر بجمع المال : ما تصنع بهذا المال كله ؟ قال : أنما أجمعهُ لروعة الزمان، وجفوة السلطان، وبخل الأخوان، ودفع الأحزان "(٣).

هنالك ممارسات لهؤلاء البخلاء في حياتهم اليومية، قال بعض البخلاء: " والله لا أكلت إلا نصف الليل، قيل ولم اخترت ذلك ؟ قال: يبرد الماء، وينقمع الذباب، وينام الصبيان، وتؤمن فجاءة الداخل، وصرخة السائل "(٤)، ومنها أيضاً ما يرويه " بأن إبراهيم بن العباس الصولي كان بخيلاً على الطعام، فيجلس معه جارية في بعض الأيام على المائدة والخبز مفرق، فقالت : يا سيدي إبراهيم، ابن ميمون صديق لك ؟ قال : نعم، وما سؤالك عنه ؟ قالت: أستعير منه بغلاً من بغال البريد أدور عليه خلف هذا الخبز، فخجل وغير الرسم(٥).

---

(١) م . ن ، ج١، ص٣٥.
(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البخلاء، دار بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠، ص٢٢٦-٢٢٧.
(٣) التوحيدي ، م . ن ، ج١، ص٢٣١.
(٤) م . ن ، ج٥، ص١٧٨.
(٥) م . ن ، ج٢، ص٤٧ .

مكونات المجتمع :

أهتم المجتمع العربي الإسلامي بالانتماء القبلي والعشائري في جوانبه الاجتماعية الإيجابية، ونبذ الانتماء السلبي الذي يولد العصبية القبلية، ولذلك فإذا قيل " فلان ذو أسرة كريمة أي أهل بيت، كأن أسرة الرجل ما هو مأسور به، أي مشدود به، لأن الرحم والقرابة يضمان على الإنسان ويشدانه "(١).

وهنالك مظاهر لذلك الانتماء القبلي الإيجابي في حب الأقارب الناتج من " الأنساب الثابتة، والأرحام الشابكة وبطاعة الآباء والعشيرة، وبالشكر النافع والمديح الباقي "(٢).

ويضع التوحيدي العرب في موقع متميز من هذا الوصف وهو الذي يعيش في وسط المجتمع العربي، واصفاً ذلك بالقول : " أحداث قادة، وشباب سادة، وكهول زادة، لهم الشرف الشامخ، والعز الباذخ، والكرم الصريح، لهم العز والجلد، والسياسة والعدد، شموس البلاد وأقمار العباد، لهم في القلوب حلاوة، وعلى الوجوه طلاوة ، وأكرمهم في الرضا والغضب، وأضربهم بالسيف المشطب "(٣).

ويبدو أن الاعتزاز بالعروبة ، لن ينسي ذلك دور بني هاشم، وهم سارية العرب، وفخرهم، ولانتماء النبي محمد (ص) إلى هذا النسب الرفيع، فبنو هاشم " ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلي العالم، والسنام الأعظم، والكاهل الأضخم "(٤). وبنو هاشم " موضع غاية الدين والدنيا، ولباب كل جوهر كريم وسر كل عنصر لطيف "(٥).

ولدى البعض اهتمام إلى مدن معينة، ومن المعروف أن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) له حب خاص لأهل الكوفة، وإذا كاتبهم قال : " أهل الكوفة رأس العرب، ورمح الله الأطول "(٦) .

وعلى الرغم من أن الإسلام هو الأكثر انتشاراً في البلاد العربية والإسلامية إلا أن التوحيدي يبين لنا الأديان السماوية والوضعية الموجودة في تلك البلاد قبل ظهور الإسلام،مبيناً بأن " النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة. واليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، والمجوسية كانت في تميم، وكانت الزندقة في قريش"(٧).

ويبدو أن البعض من المؤلفين والكتاب في العصور العباسية، كتبوا في كتاباتهم عن الديانات غير الإسلامية ويعزى ذلك إلى التسامح الديني الذي يبديه المجتمع العباسي في تلك الحقب التاريخية، حتى كانت في بغداد أيام العباسيين العديد من الأديرة التي يمارس فيها النصارى عباداتهم ومنها دير درمالس، دير سمالو، دير شموني(٨).

ومكونات المجتمع متعددة تبعاً لمعيشتهم ومعتقدهم ، ولذلك سأل معاوية بن أبي سفيان أحدهم قائلاً: صف لي الناس ، فقال: خلق الله الناس أطواراً، فطائفة للعبادة، وطائفة للسياسة، وطائفة للفقه والسنة، وطائفة للبأس والنجدة، وطائفة للصنائع والحرف، وآخرون بين ذلك يكدرون الماء ويغلون السعر"(٩) .

---

(١) م . ن ، ج٢، ١١٤.
(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانجي، مصر ، ١٩٧٩، ج٣، ص١٧٩.
(٣) التوحيدي ، م . ن ، ج٤، ص١٦٥.
(٤) م . ن ، ج٢، ص٨١.
(٥) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة، مصر ، ١٩٦٥، ص١٣.
(٦) التوحيدي، البصائر والذخائر، ج١ ، ص١٨٩.
(٧) م . ن ، ج ٥، ص٤٤.
(٨) ينظر : الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) ، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦، ص٣، ١٤، ٤٦ .
(٩) التوحيدي، م . ن ، ج١، ص٤٥.

ومن مكونات المجتمع العباسي العبيد، وهم الخدم والأرقاء الذين يعملون عند المترفين والأثرياء، ولكن لبعض العبيد فنونهم ومهاراتهم، ولذلك اشترى الخليفة الواثق عبداً من البادية، وجعله يكتب كل ما يقول لكفاءته اللغوية والأدبية(١).

ومن مكونات المجتمع الأخرى الجواري والأماء، والذين يخدمون في قصور الخلافة وعند كبار رجال الدولة والأثرياء، والبعض منهن قد أهتمن بالأدب والشعر، ويخبرنا التوحيدي عن الجارية " (ظن) ، وهي جارية أديبة، كانت من آدب الجواري في زمانها "(٢).

ويختلف ميول الجواري إلى مولاهن، ففي الوقت الذي يخبرنا عن جارية خرجت في جنازة مولاها(٣)، ولكنه يذكر في مكان آخر من كتابه بأنه تمت مشاهدة جارية في سوق النخاسين وهي تحلف أن لا ترجع إلى مولاها(٤).

وبالطبع فأن هذا التباين في سلوك الجواري يعزى إلى طبيعة العلاقة الإنسانية بين الجارية ومولاها سلباً أو إيجاباً.

ويلاحظ ظهور الاختلاف في مهارات الجواري الفردية، من واحدة إلى أخرى، مبيناً بأن " أحد الظرفاء له جاريتان مغنيتان إحداهما حاذقة والأخرى متخلفة، وكان إذا قعد معهما وغنته الحاذقة خرق قميصه، وإذا غنت الأخرى قعد يخيطه "(٥).

ومن المكونات الاجتماعية ، أصحاب المهن، ومنها المؤدب والمعلم، ويبدو أن هذه المهنة شهدت تدهوراً أخلاقياً واضحاً في العصر العباسي المتأخر من خلال ظهور بعض المؤدبين الذين يستحصلون الأجر المالي من جراء مهنتهم، بينما يرى رجال الشريعة والأخلاق آنذاك أن التعليم هي مهنة مقدسة ، يبتغي صاحبها الوصول إلى رضا الخالق عز وجل بعيداً عن الأجر المالي. ويخبرنا التوحيدي بحضور مؤدب ليكون شاهداً عند القاضي، فقال له القاضي " : ما صناعتك؟ قال : مؤدب.قال : فأنا لا نجيز شهادتك، قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرة، قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرة ، قال : أني أكرهت على القضاء، قال : فأنا أكرهت على أخذ الرزق؟ قال: هلم شهادتك وأجازها"(٦).

ونعتقد بأن أهل الفقه والصلاح ، قد شجعوا عل الاكتفاء الذاتي من خلال هذه المهنة، بعيداً عن التشبث بالربح الفاحش والبذخ والترف، فلا مناص بين مهنة التعليم والحصول على الأجرة التي يتعاطاها المؤدب لسد معيشته اليومية وبالشكل المعقول.

ومن المهن الأخرى في المكونات الاجتماعية، هو السقاء، الذي يصب الماء إلى الأحواض، ومنهم من يستخدم بغلاً واحد ومنهم من يستخدم بغلين لهذه المهمة(٧).

ووصف أحد السقائين مهنته بالقول : " أنا في سفر لا ينقضي، وغدير لا ينزح، وقوم لا يروون"(٨).

ومن المهن الأخرى هي الحائك ، ويبدو أن هذه المهنة من المهن المتدنية في المجتمع العباسي، واصفاً الجاحظ ذلك: " الحاكة أقل وأسقط من أن يقال لها حمقى، لأن الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بالخطأ الفاحش، والحائك ليس عنده صواب جيد"(٩).

ويؤيد التوحيدي هذا الاتجاه مبيناً بأن أحد الحاكة سأل فقيهاً : " ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟ قال : لا بأس بها على غير وضوء، قال : فما تقول في شهادة الحائك؟ قال : تقبل

---

(١) م . ن ، ج١، ص٧٧ .
(٢) م . ن ، ج٢ ، ص١٤٥.
(٣) م . ن، ج٢ ، ص٥٠.
(٤) م . ن ، ج٢، ص٣٦.
(٥) التوحيدي ، م . ن، ج١، ص٦١.
(٦) م. ن ، ج٣، ص١٨٣.
(٧) م . ن ، ج١، ص٦٧.
(٨) م . ن ، ج٨، ص١٧١.
(٩) الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨٥، ج١، ص٢٤٩.

شهادته مع شاهدين عدلين، فألتفت الحائك وقال : هذا ولا شيء واحد"(١) ، ثم يستطرد ببيان ثلاثة روايات تبين تدني واستحقار هذه المهنة.

ويشيد بمهنة الكتاب " لأن فيهم أدب الملوك، وتواضع السوقة"(٢) . ويظهر بان، بقايا الطعام تدفع إلى الطحان، والطحان من المهن المعروفة عبر كل العصور التاريخية، لغرض طحن هذا الطعام والاستفادة منه، وقد يكون مفيداً كطعام للحيوانات الداجنة(٣).

ويخبرنا صاحب الكتاب، بأن كبار رجال الصحابة الأوائل قد مارسوا مهناً مختلفة، وهذا ما يدل على قدسيتهم للعمل، فكان " أبو طالب عطاراً، وكان أبو بكر بزازاً، وكان عمر دلالاً يسعى بين البائع والمشتري، وكان عثمان بزازاً وكذلك طلحة وعبد الرحمن بن عوف، وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل، وكان عمرو بن العاص جزاراً، وكان الوليد بن المغيرة حداداً "(٤) .

العادات والتقاليد :

أورد التوحيدي في البصائر والذخائر بعض الملامح الاجتماعية التي يستنبط منها ما يخص العادات والتقاليد الاجتماعية، ومنها أن من عادات العرب ترجيح ناس على ناس فيقولون : " وزنتني بفلان فرجحت عليه، وضع فلان على فلان أي مال، وتباين الأمر أي تباعد "(٥).

ومن العادات الجميلة عند العرب هو حق الجليس إذا دنا أن يرحب به، وإذا جلس أن يوسع له، وإذا حدث أن يقبل عليه "(٦).

والكلام إحدى وسائل التعبير الخطابي في المجتمعات الإنسانية، ولكن هذا التقليد قد يصيبه الخلل عند بعض الناس، فهنالك من يصاب بالتمتمة وهو الترديد في التاء، والفأفأة في الفاء ، والعقلة التواء اللسان عند إرادة الكلام، والحبسة تعذر الكلام، واللفف إدخال حرف على حرف، والرته كالرتج يمنع منه واللكنة اللغة الأعجمية واللثغة عدل حرف إلى حرف(٧). وقد يصاب الخلل في الكلام من طال خطابه وأشتد لغطه، قل صوابه، وكثر غلطه(٨).

ومن العادات والتقاليد في المجتمع الإسلامي هي سمت العاطس وشمته، ويبين لنا التوحيدي بأن ذلك عائداً إلى السين من السمت، كأنه قال : جعلك الله على السمت الحسن، وأما الشين فمن قولك: تشممت الإبل. إذا اجتمعت في المرعى، فكان المعنى: سألت الله أن يجمع شملك(٩).

ومن العادات المعروفة آنذاك أختيار الندماء لغرض الصداقة والمودة، وهنالك في بعض الأحيان أختيار أكثر من نديم، " وسئل أسحق الموصلي عن الندماء فقال: وأحد غم، وأثنان هم، وثلاثة قوام، وأربعة تمام ، وخمسة مجلس، وستة زحام، وسبعة جيش، وثمانية عسكر، وتسعة أضرب طبلك، وعشرة ألق بهم من شئت "(١٠) ويذكر أن الموصلي "قد نادم جوهرياً من جلة التجار ووجوههم حتى خص به ولطفت منزلته عنده ولم يكن أحد يتجاوزه"(١١).

---

(١) التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج٤، ص١٣٩.
(٢) م . ن ، ج٢، ص١٢٧.
(٣) م . ن ، ج٧، ص٨٣ .
(٤) م . ن ، ج٥، ص٤٢.
(٥) م . ن ، ج٢، ص١٣٨.
(٦) م . ن ، ج١، ص١١٤.
(٧) م . ن ، ج٦، ص٥٩.
(٨) م . ن ، ج٢، ص٥٠.
(٩) م . ن ، ج٢، ص٢١.
(١٠) م . ن ، ج٤، ص١١٢.
(١١) م . ن ، ج٤، ص١٨.

وعند البعض من يمارس الهوايات المختلفة،ومنها تربية الطيور، ويخبرنا التوحيدي " بأنه ليس في الطيور أوفى من قُمرية، فأنه إذا مات ذكرها لم تقرب ذكراً آخر بعده، ولا تزال تنوح عليه إلى أن تموت"(١).

وهنالك هوايات رياضية، ومنها أن " الخليفة الرشيد كان يلعب الصوالج"(٢). وهنالك من له اهتمامات موسيقية وغنائية مبيناً " بأن الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم ، كما أن لذة المأكول والمشروب تشغل الجسم دون النفس"(٣).

ومن العادات والتقاليد الأخرى الاهتمام بتبادل الهدايا، باعتبار ذلك أحد الأنشطة الاجتماعية الإيجابية، ويخبرنا التوحيدي عن نوعية البعض من تلك الهدايا، ومنها أن أبو داود الوراق أهدى مقلمة إلى أحد أخوانه(٤)، وأن أحدهم قد أهدى إلى الخليفة المتوكل في يوم النيروز سكرة قائلاً له: الحلاوة للسكر(٥)، وكذلك فقد أهدى الموبذ وهو رجل الدين عند المجوس إلى الخليفة المتوكل قارورة دهن وكتب : " إذا كانت الهدية من الصغير إلى الكبير، فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن، ومن الكبير إلى الصغير، فكلما عظمت وجلت وكانت أنفع وأوقع "(٦).

ومن التقاليد المعروفة في العصور العباسية هو ممارسة علم التنجيم، وهذا العلم "عويص غامض عميق وقد فقد العلماء به الحدس والظن وعلى بعض التجارب القديمة التي تكذب مرة وتصدق مرة، وبالصدق يعبر الإنسان، وبالكذب يعرى من فوائده"(٧).

ويخبرنا التوحيدي بأن المنجمين قد " زعموا أن الهلال نجم حسن ، وأجمع أهل العلم أن عامة حاجات الناس أنما ترجي مع الأهلة: منها التاريخات كلها، ومحل الديون، وفراغ الصناع والتجار، يوم الفطر ، وآجال المستغلات، وقدوم الولاة، وزيادة المد ونقصان الجزر ما بين الصين إلى المذار"(٨).

وهنالك لدى البعض أرثاً شعبياً في النجوم والأنواء الجوية، لذلك " قيل الأعرابي: "ماأشد البرد ؟ قال : إذا كانت السماء نقية والأرض ندية ، والريح شامية"(٩).

وقد عرف العرب الأيام والأشهر والسنوات، ولذلك كانت العرب تسمي " السنة شهرين شهرين: فتشرين وتشرين: الوسمي، وكانون وكانون: الشتاء، وشباط وآذار: الربيع، ونيسان وأيار: الصيف وحزيران وتموز: الحميم ، وآب وأيلول: الخريف"(١٠).

وكان المنجم أبو معشر الفلكي أحد البارزين في العصر العباسي، وما زالت كتبه في متداول الأيدي إلى يومنا الحاضر، إلا أن التوحيدي يخبرنا عن التفاتة مهمة في هذا الموضوع قائلاً: " كان أبو معشر على علمه وفهمه وتقديمه في الصناعة يصيبه الصرع عند امتلاء القمر في كل شهر مرة ، وكان لا يعرف لنفسه مولداً "(١١).

ويحدثنا التوحيدي بثمانية روايات(١٢) تدور حول شخصية (جحا) ، ويغلب على هذه الروايات الطرافة والوعظ، إلا أنه لم يبين لنا هل هو شخصية حقيقية أم لا ؟ حيث لم يشر إلى

---

(١) م . ن ، ج١، ص٩٨.
(٢) م. ن ، ج٣، ص٤٥.
(٣) م . ن ، ج٣، ص٥٥.
(٤) م . ن ، ج٣، ص١٧٩.
(٥) م . ن ، ج ٥، ص١٥.
(٦) م . ن ، ج٦، ص٢٣٦.
(٧) التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، شرح أحمد امين ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون سنة ، ج١، ص٤٠.
(٨) التوحيدي ، البصائر والذخائر، ج٢، ص١٦٨.
(٩) م. ن ، ج١، ص٦٣.
(١٠) م . ن، ج٥، ص١٩٩-٢٠٠.
(١١) م . ن ، ج٣، ص٦٦.
(١٢) ينظر : م . ن ، ج٤، ص ١٠٠، ١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١٦٦) .

زمان ومكان تلك الروايات ، ويخبرنا في مكان آخر من كتابه بأن هذه الروايات قد رواها أحد المقربين إليه، وكان صاحبه هذا كثير النوادر ، عزيز الحفظ، فصيح اللسان(١).

ومن العادات والتقاليد الاجتماعية هي ميول الناس لاحترام الشيخ الكبير، والحزن على الأموات، وعد ذلك من توجيهات الإسلام الحنيف وتفعيلاً للقيم الإنسانية النبيلة، وقيل لصوفي: " كيف أصبحت ؟ قال : آسفاً على أمسي، كارهاً ليومي، متهماً لغدي"(٢).

وهنالك قلق لدى الناس من مرحلة الشيخوخة والتي يبدي فيها الإنسان بالضعف والوهن، ولذلك يرى أحدهم المقارنة بين الشيخوخة والشباب، كمثل العمارة والخراب(٣).

ويبدو أن الدخول في العقد السادس من العمر ، دلالة على بداية الشيخوخة، وقيل " لعبد الملك بن مروان : كم أتى عليك من السن؟ قال : أنا في معترك المنايا: أنا ابن ثلاث وستين "(٤).

وعلى الأغلب يصاحب الشيخوخة تقوس الظهر ، وهنالك من يرى أن تحدب الظهر دلالة على الخبث والظرف(٥)، ولذلك زاحم "شاباً شيخاً في طريق وقال يماجنه: كم ثمن هذا القوس- يعيره بالانحناء- فقال له الشيخ: أن طال عمرك فأنك تشتريه بلا ثمن"(٦) .

ومن العادات الاجتماعية زيارة المرضى والاطمئنان على صحتهم(٧)، ويخبرنا التوحيدي في كتابه بأن الخلافة العباسية قد اهتمت بصحة الفرد والمجتمع، وأعطت اهتماماً للأطباء " فلقد جمع الرشيد أربعة من الأطباء : عراقياً ورومياً وهندياً وسوادياً، فقال : ليصف كل واحدٍ منكم الدواء الذي لا داء فيه"(٨).

وهنالك مراسيم لحالات الموت والوفاة ، وقد وقفت أمرأة على قبر أخيها فقالت : " نعم السيد كنت لعشيرتك، كنت والله مناخ الضيفان، وحوض الضمان، وسم الفرسان. لقد كنت عند الغضب حليماً، وعند الله كريماً " (٩).

ويبين لنا التوحيدي الطريقة المؤدبة للتعازي ، فأحدهم يعزي الآخر بموت أبيه قائلاً: " والله ما مات من خلفك، ولا خاب من أملك، ولا توحد من أهلك، أن من كنت بغيته لموفور، ومن كنت ثماله لمحبور، ومن كنت وليه لمنصور"(١٠).

ومن التقاليد الشائعة آنذاك هي استخدام الحجامة لأغراض العناية الصحية، فضلاً عن مسايرة سيرة الرسول محمد (ص) في هذا المجال، ويحتاج الحجام في عمله " إلى شد قصب وهما خشبتان مشدود أوساطهما بحديدة تجعل في طرفها فتلتزم ما فيهما لزوماً شديداً، ولا بد من تعيين موضع الحجم، ومشرط"(١١).

ويبدو أن الحجام كان يخير الشخص بأن يخرج منه دماً قليلاً أو كثيراً(١٢).

ويعمل الحجام على وضع المحاجم على ظهر الرجل ويقوم بعد ذلك بمص الدم(١٣)، وقد ذكر أحد الحجام بأنه حجم الخليفة أبي جعفر المنصور وأعطاه أربعة دوانيق فضة(١٤).

---

(١) م . ن ، ج٤، ص١٠٠.
(٢) م . ن ، ج٣، ص٤٣.
(٣) م . ن ، ج٢، ص٢٢٦.
(٤) م . ن ، ج٢، ص٥٨ .
(٥) م . ن ، ج١، ص١٥.
(٦) م . ن ، ج١، ص٦٠.
(٧) م . ن ، ج٣، ص١٨٢.
(٨) م . ن ، ج٥، ص١٥٥.
(٩) م . ن ، ج٣، ص٧٢.
(١٠) م . ن ، ج٢، ص١٨٣.
(١١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٣٨٠.
(١٢) التوحيدي، م . ن ، ج٩، ص٧٥.
(١٣) م . ن ، ج٤، ص١٤٠.
(١٤) م . ن، ج١، ص٢٤١.

وتخبرنا المصادر العربية عن أهمية الحجامة الطبية، ومنها " أن الخليفة الرشيد أصيب بعلة شديدة، حتى أنهم توقعوا قد مات ، فقال لهم الطبيب: أنه لم يمت، والصواب أن يحجم الساعة، فقال المأمون: الأمر قد وقع ، وليس يضر أن نحجمه، وأحضر الحجام، فقال له الطبيب: ضع محاجمك ففعل فلما مصها شوهد الموضع قد أحمر، فعلم أنه حي ، فقال الطبيب للحجام: أشرط فشرط ، فخرج الدم، وجعل ، كلما خرج الدم تحرك رأسه إلى أن تكلم"(١).

ويبدو أن الحجام كان له صنعة أخرى وهي حلاقة الشعر، ويحدثنا بذلك التوحيدي "بأن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) دعا إلى حجام ليأخذ من شعره"(٢).

الحياة العائلية:

للعائلة دور مهم في بناء المجتمعات الإنسانية، والانتماء إلى القرابة والعشيرة والعائلة وهي من العادات التي يفتخر بها العربي، إلا أن هنالك بعض الظواهر بين الأقارب لا تكون صورة مشرقة في كل الأحوال، وهنالك من العرب من قال: " الأقارب عقارب، وأمسهم بك رحماً أشدهم لك ضرراً"(٣)، وليصل الحال إلى من يفكر في الابتعاد عنهم، وهنالك من يرى بأن عداوة ذي القرابة، كالنار في الغابة(٤).

ويظهر أن المجتمع العربي الإسلامي يحث على تفعيل قيم الخير والصلاح بعيداً عن الشرور وهنالك امرأة لا تحب زوجها، وعندما سئلت عن ذلك، قالت : لخصال كن فيه: خبيث العرق(٥).

وهنالك البعض من الرجال ، من يرغب بالزواج من النساء السنديات وذلك لطول الشعور، ورخص المهور، ودقة الخصور(٦).

ومن آداب ليلة الزفاف في المجتمع العباسي أن يجلس النساء بجانب العروس، إلا أن البعض من العرائس لا يرغبن في هذه العادة، ولذلك قالت إحدى العرائس للنساء : "لا أعرف لقعودكن معنى، لا أنا مستوحشة فتؤنسنني ، ولا محتشمة فتبسطني، فانصرفن في حفظ الله "(٧).

وسمى المجتمع العباسي الطفل إذا ولد وصرخ بالاستهلال(٨).

التجميل :

أهتم المجتمع العربي الإسلامي بالزينة والتجميل، وعدوا ذلك من الضروريات المهمة للحياة اليومية، وعد سنن العرب " المضمضة والسواك والاستنجاء"(٩). واهتم المجتمع العباسي باستخدام الطيب والعطور، وهنالك خمسة أطياب رئيسة آنذاك وهي "المسك والعنبر والعود والكافور والزعفران"(١٠)، ومن غرائب المسك الخالص بأنه كلما سحق ازداد طيباً، والمغشوش كلما سحق ازداد نتناً(١١).

---

(١) التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) ، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ج٤، ص٢١٩.
(٢) التوحيدي ، البصائر والذخائر، ج٦، ص٧١.
(٣) م . ن ، ج١، ص٢٤٣.
(٤) م . ن ، ج٩، ص٢٠١.
(٥) م . ن ، ج٢، ص١٧٥.
(٦) م . ن ، ج٥، ص١٥٦.
(٧) م . ن ، ج٢، ص٥٨.
(٨) م . ن ، ج٢، ص١٢٩.
(٩) م . ن ، ج٢، ص١٤٨.
(١٠) م . ن، ج٣، ص٣٥.
(١١) م . ن ، ج٦، ص١٢٨.

ويبين لنا التوحيدي بأن بعض الناس يتعصبون لزهرة النرجس على الورد ويصفه البعض أشبه بالعيون من الورد(١).

ومن آداب التجميل في المجتمع العباسي التختم بالخاتم، ويبين لنا صاحب الكتاب بأن " الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام قال : ما افتقرت كف تختمت بفيروزج"(٢).

وشاع في تلك العصور استخدام الذهب للتجميل، وهنالك استخدام واضح لهذا المعدن في قصور الأثرياء أو المترفين، ويعلق التوحيدي على ذلك : " هو أبقى الجواهر على الزمن، وأصبرها على الماء، وأقلها نقصاناً على النار، ولا يسود لصلاح طبعه وموافقة جوهره لجوهر الناظر، ومنه الصفائح التي تتخذ لسقوف الخلفاء والملوك"(٣) .

ومن مظاهر التجميل لديهم إخفاء عيوب الشيب على الرغم من اختلاف المفهوم حوله، فهنالك من يرى " بأن الشيب في مقدمة الرأس كرم، وفي الشارب سفه وفي العارض روع، وفي القفالوم"(٤)، وهنالك من يقول "ما طلع على الإنسان طالع أبغض إليه من الشيب"(٥) .

ويحدثنا التوحيدي بأن أحد المزينين " يخدم رئيساً، وكان الرئيس قد خالطه بياض، وكان يأمر المزين بلقطه، فلما انتشر البياض وتفشى الشيب قال المزين: يا سيدي قد ذهب وقت اللقاط، وحان وقت الصرام، فبكى الرئيس من قوله"(٦).

ومن وسائل التجميل الأخرى هي استخدام الكحل للعينين، ويخبرنا التوحيدي بأن بعض النساء يستخدمن ما تطلي به عيونهن من الزعفران عند الولادة وسمي ذلك الدمام(٧).

والطريف أن التوحيدي يروي لنا بأن أحد الشيوخ قد حضر جنازة، فظل يبكي، وكان مكتحلاً فسال كحله على وجهه. فنظرت إليه امرأة فقالت: سخنت عينك، كأنما والله مطبخ يكف ، أيش هذه السماجة ! فأضحكت أهل الجنازة(٨).

الأطعمة والأشربة:

يعد الطعام والشراب أحد الضروريات الأساسية للإنسان لاستمرار الحياة، ولكن طريقة تناول الأطعمة والأشربة واختلاف أنواعها في كل زمان ومكان، مما جعل المؤرخون في الميدان الاجتماعي أن يتبعوا هذا الموضوع وفق عنوانه.

والاعتدال في الطعام من الأمور المهمة في الحياة، ولذلك قال الخليفة "عمر بن الخطاب (رض) : إياكم والبطنة فأنها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسم مؤدية إلى السقم"(٩) .

ولكي يحصل المرء على نوم هادئ، لذلك قالوا : " أقلل طعامك تحمد منامك"(١٠).

ويبين لنا التوحيدي بأن بعض المدن مفيدة لمعيشة الناس بسبب الطعام. "وقيل لظريف: كيف رأيت البصرة ؟ قال : خير بلادٍ والله للجائع والمفلس والعزب، أما الجائع فيأكل من خبز الأرز والمالح حتى يشبع بفلس ، وأما العزب فيتزوج بمن شاء بدانقين"(١١).

وهنالك فنون في طبخ الطعام، ولذلك " قيل لطباخ مرةً : ما أطيب طبيخك لولا أنك تصغر البرمة، فقال : أنما يكمل طيب البرمة بأن يأكل منها القوم لقمة فيستطيبونها، وهؤلاء إذا طلبوا أخرى لم يجدوها "(١٢).

---

(١) م . ن، ج٩، ص٤٧.
(٢) م . ن ، ج٧، ص١٦٥.
(٣) م . ن ، ج٣، ص٣٨.
(٤) م . ن ، ج٥، ص١٣٠.
(٥) م . ن ، ج٣ ، ص٤٢.
(٦) م . ن ، ج١، ص١٤.
(٧) م . ن ، ج٣، ص١٦٧..
(٨) م .ن ، ج٣، ص١٦٢.
(٩) م . ن ، ج٦، ص٧١.
(١٠) م . ن ، ج١ ، ص٢١٤.
(١١) م . ن ، ج٤، ص٧٨.
(١٢) م . ن ، ج٩، ص٤٣.

ويصف لنا التوحيدي أحد الطباخين المهرة بالقول : " بأنه أرهفهم سكيناً، وأعدلهم تقطيعاً، وأذكاهم ناراً، وأطيبهم يداً، معب للموائد، كأن مائدته رياض مزخرفة، مرتب للألوان، منظف للخوان ، لا يجمع بين شكلين، ولا يوالي بين طعامين، ينضج الشواء ويحكم الحلواء، ويخالف بين طعام الغذاء والعشاء "(١).

ويخبرنا التوحيدي بان الرسول محمد (ص) كان يشجع الناس على إقامة الولائم، حيث قال (ص) لرجلٍ : " أولِمْ ولو بشاة ، هذا قاله لرجل خطب كريمة قوم، فأحب عليه السلام بذلك التئام الشمل واشادة الأمور وتمام الألفة وأجتلاب المحمدة واستدعاء البركة"(٢) .

وهنالك ضوابط لتقديم الطعام إلى الخلفاء العباسيين ومنها ، كما "قال المأمون: خصلتان لا تصنعان على موائد الخلفاء : نكت المخ، وكثرة أكل البقل"(٣).

وهنالك الطفيليون الذين يتطفلون على موائد الطعام. والتطفيل من اللؤم ، وهو التعرض إلى الطعام من غير أن يدعى إليه(٤)، أو يكون مأخوذاً ذلك من الطفل وهو أقبال الليل على النهار بظلمته وأرادوا أن أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه(٥).

وهنالك طرائف في موضوع الطفيليين ، "فقال طفيلي : ليس شيء آضر على الضيف من أن يكون رب البيت شبعان"(٦)، ويقدم التوحيدي طريفة أخرى عن الطفيليين بأن قوم من الطفيليين تطفلوا على طباخ يطبخ قدراً له. فنشل أحدهم قطعة لحم فأكلها وقال : تحتاج إلى خل، ونشل الآخر أخرى فأكلها وقال : تحتاج إلى أبزار. وفعل آخر مثل ذلك وقال: تحتاج إلى ملح فأخذ الطباخ قطعة فأكلها وقال : تحتاج إلى لحم فضحكوا وقاموا عنه(٧).

وهنالك من يتفنن في وصف الطعام لعشقه به ، ووصف أحد الأعراب الثريد قائلاً: " ثريدة دكناء من الفلفل ، رقصاء من الحمص، ذات حفافين من اللحم "(٨).

ويخبرنا التوحيدي بأن سعر الدجاجة في عصره قد تصل إلى عشرة دراهم(٩)، وهنالك وهنالك من يقدم الدجاج المشوي هدية في المناسبات المختلفة(١٠).

وهنالك من يتذوق بعض الخصوصيات في اللحوم، ولذلك يقال : "أطيب ما في الجدي شاكلته ، وأطيب ما في السمكة رأسها ، أي خاصرة الجدي وسرة السمكة"(١١).

ومن الأكلات العباسية المعروفة حتى يومنا الحاضر هي الهريسة، ويحدثنا التوحيدي بأن أحدهم له جار ضعيف الحال، فعمل له هريسة ودعاه ليأكل معه فلم يلحق به الا لقمتين. فقال له : دعوتك رحمة فصيرتني رحمة(١٢).

ويحدثنا كذلك عن طريفة ، بأن هنالك " ثلاثة من الهراسين ببغداد، يتكايدون، وقد أخرج أحدهم هريسته على المغرفة وهو يقول: أنزلي ذلك الأمان، والثاني يقول: يا قوم أدركوني الحقوني ، أنا أجذبها وهي تجذبني، والغلبة لها ، والثالث يقول : أنا يا قوم لا أدري ما يقولون، من أكل من هريستي ساعة أسرح ببوله شهراً"(١٣).

---

(١) م .ن ، ج٢، ص ١٤٣-١٤٤.
(٢) م . ن ، ج٧، ص٢٤٥.
(٣) م. ن ، ج٢، ص٥٩.
(٤) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، بدون سنة ، ج٣، ص٣٢٤.
(٥) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، الأذكياء ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٩، ص١٨٥.
(٦) التوحيدي ، م . ن ، ج٨، ص١٥٧.
(٧) م . ن ، ج٩، ص٤٢.
(٨) م .ن ، ج٨، ص١٨٨.
(٩) م . ن ، ج٧، ص٨٢.
(١٠) م . ن ، ج١، ص١٨٧.
(١١) م . ن ، ج٣، ص٢٦.
(١٢) م . ن ، ج١، ص٧٩.
(١٣) م. ن ، ج١، ص١١-١١٢.

وشهدت الأسواق العباسية تزاحماً في المواد المعروضة والمتبضعين، متزامنة مع صيحات البائعين الذين يرغبون الناس للشراء، وشوهد صاحب بطيخ في بغداد يصيح: "هذا عسل، هذا سكر، هذا قند"(١).

ويخبرنا التوحيدي بأن أسواق بغداد شهدت بيع الجراد لغرض الطعام، وهنالك من يبيع على الكمية المحدودة بدرهم للكمية الواحدة(٢).

ويحدثنا صاحب الكتاب عن بعض الحلويات المنتشرة في ذلك الوقت ، ومنها اللوزنج المحشوة(٣).

ومن الحلويات العربية الإسلامية هي الخبيص(٤)، ويخبرنا بأن " أبا موسى الأشعري الأشعري قد أهدى إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ألواناً من الخبيص، قال له: ما هذا قال : الخير عندنا كثير والمؤونة عندنا تخف"(٥).

ومن طرائف الظرفاء في الحلويات، بأن اثنين منهم اختصما إلى قاضٍ لهم، يقول كل واحد: أنا أفتى منك " فقال القاضي لأحدهما: الخبيص أحب اليك أم الفالوذج ؟ فقال: الخبيص، فقال الآخر الفالوذج فحكم للذي فضل الفالوذج، فسئل عن الحجة فقال: لأن الخبيص يعمل من السكر، والسكر من القند والقند من القصب، والقصب يمصه الصبيان في الكتاتيب، وليس فيهم فتوة، والفالوذج من العسل، والعسل من الشهد والشهد من النحل، والنحل يأوي الجبل، والجبل يكون فيه الصعاليك، والصعاليك فتيان"(٦).ويدخل زيت الطعام كأساس للطبخ، وعدّ البعض أن أن للزيت فوائد كثيرة، فأنه "يعصر أول عصرة فيكون منه زيت الأكل، ثم يعصر ثانية فيكون منه زيت السراج، ثم يعصر ثالثة فتطيب به زقاق الزيت، ثم يباع فيجفف وتسجر به النار فتكون ناره أحر نار، ثم يعزل رماد ذلك الوقود فيباع لأصحاب الصابون فيدخلونه في عمله فيجود فلا يسقط منه شيء"(٧).

ويخبرنا التوحيدي عن استخدام العلك، " ومضغت أعرابية علكاً، فقيل لها: كيف ترينه؟ قالت: فيه تعب الأضراس وخيبة الحنجرة"(٨).

وأورد التوحيدي عدداً من الفواكه في كتابه، ومنها التفاح الذي أحبه ظرفاء بغداد، وقد حضر التفاح عند حضرة الخليفة المأمون فقال عنه : (أجتمع في التفاح الصفرة الدرية، والحمرة الذهبية، والبياض الفضي، والنور القمري، يلذها من الحواس ثلاث: العين لحسنها، والأنف لعرفها، والفم لطعمها"(٩).

وفي ميدان الأشربة، فهنالك من يهتم بشرب النبيذ، وقاله عنه الموسيقي " اسحق الموصلي: " ما جُشمت الدنيا بأطيب من شرب النبيذ"(١٠) .

أما أوعية شرب الأشربة، فالبعض منهم من يشرب في آنية من الذهب والفضة(١١)، والبعض منهم من يرى الشرب بآنية الرصاص لأنها أمان من القولنج(١٢).

الملابس :

---

(١) م . ن ، ج٤، ص٤٣.
(٢) م . ن ، ج٤، ص٢٠٥ .
(٣)التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج٩، ص٤٣.
(٤) حلوى تصنع من العسل والدهن والزعفران. ينظر : التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، ج٣، ص٧٧ .
(٥) التوحيدي ، البصائر والذخائر، ج٢، ص١٤٩.
(٦) التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، ج٤، ص١١٤.
(٧) م . ن ، ج٣، ص٣٨.
(٨) م . ن ، ج٢، ص١٢٦.
(٩) م . ن ، ج٢، ص٢١٦.
(١٠)التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج٢، ص٤٦.
(١١) م . ن ، ج١، ص٢٠٤.
(١٢) م . ن ، ج٣، ص٢٣.

أهتم المجتمع الإسلامي مثل بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى بالملابس، لأن في الملابس فوائد متعددة، فهي تستر على الإنسان وتحميه من الحر والبرد، وتضيف إليه رونقاً وجمالاً.

واعتاد بعض الناس على ارتداء الملابس البسيطة، فهذا عمر بن الخطاب (رض) المعروف ببساطة ملابسه، إلا أنه خرج مرة بملابس فاخرة، فنظر الناس إليه مستريبين، فلما رآهم كذلك أنشد :

لا شـــــيء فيمـــــا تـــــرى إلا بشاشـــــته

يبقـــى الإلـــه ويفنـــى المـــال والولـــد(١)

وتعد العمامة من أهم الملابس ، " فهي خير ملبوس، جنة في الحرب ، ووقاية من الأحداث ومكنة من الحر، ومدفأة في البرد، ووقار في الندي، وزيادة في القامة، وهي تعد من تيجان العرب"(٢).

وكان لبس العمائم معروف قبل الإسلام، وأصبح لبسها سنة نبوية، ثم أصبح لبسها من العرف الاجتماعي(٣). وتصنع العمائم من مواد نسيجية مختلفة مثل الخز والقصب والوشي والكتان(٤).

وهنالك ارتفاع ملحوظ لأسعار بعض العمائم ، فلقد دخل الوليد بن يزيد بن هشام وعلى الوليد عمامة وشيً(٥)، فقال هشام : بكم أخذت عمامتك؟ قال : بألف درهم ، فقال هشام: بألف يستكثرها(٦).

ويخبرنا التوحيدي عن ارتفاع أسعار بعض الملابس ومنها الثياب، حيث اشترت امرأة ثوباً وشياً بألف درهم(٧)، وهذا المبلغ يعد مرتفعاً قياساً إلى الأسعار الأخرى للمواد المختلفة آنذاك.

وهنالك بعض الملابس من الفرو، ومن الطرائف في هذا بأنه كان ببغداد مجنون يلبس فروة مقلوبة، فإذا قيل له في ذلك قال لو علم الله تعالى أن الصوف إلى داخل أجود عمله إلى داخل(٨).

ويبدو أن بعض الناس يتخذون من الملابس الحكمة والموعظة فلقد دخل أحدهم على " سليمان بن عبد الملك في ثياب رثة ، فقال سليمان: ما يحملك على لبس هذا؟ قال: أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي أو أقول الفقر فأشكو ربي "(٩).

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر :

- أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) :
١- الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨.
- أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م) :
٢- الامتاع والمؤانسة، شرح أحمد أمين، مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون سنة.
٣- البصائر والذخائر ، تحقيق د. وداد القاضي، ط٤، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٩.

---

(١) م . ن ، ج٩، ص١٠.
(٢) م . ن ، ج٧، ص١١٠.
(٣) فهد ، د. محمد بدري، المجتمع العراقي، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ج٥، ص٨٣.
(٤) العبيدي، د. صلاح حسن، الملابس العربية في العصر العباسي، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠، ص١١٨.
(٥) الوشي : مأخوذ من وشيت الثوب وشياً أي طرزته، ينظر : ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ، المخصص، دار الفكر ، بيروت، بدون سنة ، ج٤، ص٦٦ .
(٦) التوحيدي، البصائر والذخائر ن ج٣، ص٥٠.
(٧) م . ن ، ج٤، ص٧٢.
(٨) م . ن ، ج٨، ص٩٨.
(٩) م . ن ، ج٢، ص ٩١.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) :
٤- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر، ١٩٦٥.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) :
٥- البخلاء، دار بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ .
٦- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥.
٧- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
٨- الأذكياء ، المطبعة الحيدرية ، النجف، ١٩٦٩.
- ابن خلكان، العباس شمس الدين أحمد (ت٦١٨هـ/١٢٨٥م):
٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون سنة.
- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي:
١٠- المخصص، دار الفكر ، بيروت، بدون سنة .
- الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) :
١١- الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط٣، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب (ت٧٢٣هـ/١٣٣٢م):
١٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، بدون سنة.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) :
١٣- معجم الأدباء، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون سنة.

ثانياً- المراجع العربية :

- العبيدي ، د. صلاح حسن :
١- الملابس العربية في العصر العباسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
- فهد ، د. محمد بدري :
٢- المجتمع العراقي، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ج٥.
- كحالة ، عمر رضا :
٣- معجم المؤلفين ، دار أحياء والتراث العربي، بيروت، بدون سنة.

"A History study a bout the Islamic community in the (Al- Basiar and – Thagharr) book, for Al-Taoheedi"

Ass. Proff. Dr. Abd. Kareem Ezeldeen Sadik
Baghdad University - Collage for Women - History Dept.

Abstracts:

This research is considered a study a bout the mainly phenmons in the Islamic community over its different eras, until the life of the writer (Al- Taoheedi) in the forth century (A.H) .

The research is divided into many subjects : Behaviors and customs, community structure, family life , luxury and poverty , foods, clothes .

The research shows us that the Islamic community informations are received from this book (Al- Basiar and Al-thagharr), also we show that the writer is decided to appear the community pictures for his era (the Abbaside era), and this book is important because it considered many knowledges in different important subjects.